المكون التداولي في كتابات "عبد الرحمن الحاج صالح "

The pragmatic component in the writings of Abd al-Rahman al-Hajj Salih.

طالبة دكتوراه/ علاوة زينب
الدكتورة: حورية رزقي

قسم الآداب واللغة العربية - جامعة محمد خيضر- بسكرة(الجزائر)
مخبر اللسانيات واللغة العربية جامعة بسكرة
zineb.allaoua@univ-biskra.dz

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/04/18 تاريخ النشر: 2021/09/15

ملخص

للدكتور عبد الرحمن حاج صالح إسهامات جليلة في اللسانيات العربية، خصوصا في دراسته التّراث اللّغوي العربي، وتحديدا في مجالي البلاغة والتّداوليّة؛ حيث نجده يحلّل ويمحّص ما وقف عليه في هذا التّراث، ويقارن ذلك بما كتبه الباحثون الغربيون في هذا الشأن، ليقول في الأخير كلمته؛ ومدارها أنّ تراثنا العربي غنيّ بشتى العلوم، ثريّ بالنّظريات التي تواكب ما وصل إليه الغربيون في دراساتهم اللّسانية.

سنحاول في هذه الدراسة أن نسلط الضوء على بعض ما تناولته كتب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في كتاباته وخصوصا فيما تعلق بنظرته لعلم التداولية المستجد وربطه بما جاء في الكتب العربية التراثية وبما اسماه ظواهر التخاطب.

الكلمات المفتاحية: لسانيات؛ تداولية؛ عبد الرحمن الحاج صالح؛ دلالة؛ خطاب.

Abstract:

Dr. Abd al-Rahman al-Hajj Salih has made great contributions in Arabic linguistics, especially in the study of linguistic heritage, exactly in the fields of rhetoric and pragmatics. Where are we find him analyzing and scrutinizing what he found in this heritage, and comparing that with what western scholars wrote in this regard, to say in the end his word, which is that our Arab heritage is rich with a various science, which matches a lot of theories that westerners have reached in their linguistic studies.

In this study, we will try to spotlight on some of what was dealt with in the books of Dr. Abd al-Rahman al-Hajj Salih, especially with regard to his

view of the emerging deliberative science and linking it to what was mentioned in the traditional Arabic books and what he called it phenomena of discourse

key words: linguistics; pragmatics; Abd al-Rahman al-Hajj Salih; Semantic; Discourse.

مقدمة:

اهتم النحاة القدامى بدراسة اللغة وخاصة ما يتعلق بالخطاب المنطوق، إذ نقلوه من فصحاء العرب وصنفوه وقعدوا به القواعد ،وألفت الكتب في شتى العلوم منها: النحو والصرف والبلاغة والفقه وغيرها ؛ فقد خلّف الأجداد تراثا ضخما غنيا متنوعا ينافس كل الدراسات اللغوية في العصر الحديث، ومن بين علماء العربية الذين اكتشفوا كنز التراث العلامة "عبد الرحمن الحاج صالح" بإسهاماته الجليلة في إعادة إحياء القديم وربطه في آن الوقت بالنظريات الغربية الحديثة، وعقد مقارنة بينهما، ليستخلص أخيرا أن علماء العربية القدامى عباقرة سابقين لزمانهم، من بين هذه العلوم "علم التداولية pragmatics"، أو كما يسميها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (ظواهر التخاطب أو ظواهر الاستعمال) الذي درسه البلاغيون العرب القدامى وأولوه أهمية كبيرة، فما العلاقة بين ما تدرسه التداولية وما يدرسه علم المعاني خصوصا فيما يتعلق بظواهر التخاطب عند عبد الرحمان الحاج صالح؟

للإجابة على هذا التساؤل يجب أن نشير إلى العلاقة بين علم التداولية pragmatics كعلم غربي حديث والذي يدرس اللغة أثناء الاستعمال(المتكلم/المخاطب) باعتبار أن الخطاب يوجه من أحد الطرفين وبين علم المعاني أحد فروع علم البلاغة العربي والذي يُعنى بأحوال المتخاطبين وبه تعرف أحوال اللفظ العربي التي تطابق مقتضى الحال، وقبل ذلك حري بنا منهجيا أن نشير إلى مفهوم الخطاب اللساني ثم التراثي على النحو الأتي:

أولا: مفهوم الخطاب.

يختلف تحديد مفهوم هذا المصطلح باختلاف وجهات النّظر وتنوّعها؛ إذ يرى ميشال فوكو Michel faucanlt أنّ الخطاب مصطلح لسانيّ يتميّز عن نص أو كلام وكتابة وغيرها بشمله لكل إنتاج ذهني سواء كان نثرا أو شعرا منطوقا أو مكتوبا، فرديا أو جماعيا ذاتيا أو مؤسّسيا، في حين أنّ المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد.

وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسّسية فهو ليس ناتجا بالضّرورة عن ذات فرديّة يعبّر عنها أو يحمل معناها أو يحيل إليها، بل قد يكون مؤسّسة أو مدّة زمنيّة أو فرع معرفي ما.[1]

1. الخطاب اللّساني:

الخطاب اللّساني خطاب علميّ موضوعه اللّسانيات بوصفها الدّراسة الموضوعيّة للظواهر اللّسانية، والغاية منه الكشف عن أسرار اللغة وقوانينها سواء أكان في مستوى النّظام المتواضع عليه أم في مستوى الكلام وتأدية المتكلّمين لوحداته وتركيباته في المخاطبات الشّفهية والكتابيّة[2].

2. **الخطاب التراثي:**

عرّف الدكتور "عبد الرحمن الحاج صالح" التّراث اللّغوي العلمي أنّه "ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمال جليلة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علميّة وهو الاستقراء للنّص القرآني واختراع نظام من الإعجام والنّقط لتصحيح القراءة[3] إذ يشير لفظ (تراث) في الخطاب العربي الحديث والمعاصر إلى ما هو مشترك بين العرب؛ أي أنّ التّركة الفكرية والرّوحية التي تجمع بينهم لتجعل منهم جميعا خلفا لسلف[4].

وجدير بالذكر أنّ الجانب الأهمّ من التراث هو الأصول العلميّة التي امتازت بها علوم اللّسان عند العرب عن غيرها[5]،والرّصيد اللّغوي القديم الذي خلّفه أسلافنا مادّة وبحثا جزء لا يتجزأ من هذا التّراث، وعليه يمثّل(التّراث اللغوي) مجموع المنتجات الفكرية القديمة المتعلّقة بتحليل الظواهر اللّغوية بشكل عام وظواهر اللّغة العربيّة بشكل خاص، وعبد الرحمن الحاج صالح يقيم موازنة بين ما قاله العرب القدماء وما قاموا به بحوث وما توصلوا إليه من أفكار ومناهج وما يقوله المحدثون في مختلف نظرياتهم ومذاهبهم اللّسانية ،كالنحو التّوليدي والتّحويلي ونظريّة الخطاب وغيرها.

إذا فالخطاب يرتبط بمتكلم ومخاطب والوضع الذي يحتويهم، وأنّ له تأثير على اللّغة التي يوجّه بها الخطاب والتي تختلف بدورها من قائل لآخر ومن تخصّص إلى آخر، كما تختلف باختلاف المناسبة أو الموقف وطبيعة المتلقّي والهدف المقصود من وراء إصدار الخطاب وعليه يمكن تحديد الخطاب بوصفه مجالا بعينه من الاستخدام اللّغوي تحدّد بنيته بتمازج العناصر السابقة التي تفرز باختلافها أنواعا جديدة من الخطاب[6].

ثانيا: الأبعاد التداولية للتراث عند عبد الرحمن الحاج صالح.

1. تعريف التداولية:

أحدثت التداولية تغييرا طال هندسة اللسانيات، فاكتشاف الأبعاد التداولية للغة فتح أفاقا أرحب، وأنتجَ أسئلة جديدة ستكون مسوّغا للاعتراف بالتداولية كأحدث بحث أفرزته اللسانيات الحديثة؛ البحث الذي يولي أهمية قصوى للشروط الخارج لغوية .extra linguistique والمتعلقة بالسياق والمقام والمتكلمين ومقاصدهم وحيثيات الاستعمال، والأفعال اللغوية أو بعبارة التوليديين أصبحت جزءا من دراسة الإنجاز[7] part of performance .

لقد أولت التداوليات الحديثة عناية كبيرة لعنصري المتكلم والمخاطب انطلاقا من الاعتقاد بأن الخطاب يتوجه (من وإلى) أحد الطرفين، وكذا بالنظر إلى طبيعة التفاعل اللساني الذي يوجه الكلام ويحدد مساره إلى درجة ذهب معها (ليتش) إلا أنه لا يمكن أن ندعي فهمنا للكلام من دون استحضار شروط إنتاجه المحيطة به خاصة عنصر المتكلم والسامع.

وتجدر الإشارة إلى أن علماء البلاغة المسلمين قد اجتهدوا، خاصة في علم المعاني الذي يعتبر من بين أهم العلوم التي تدرسها البلاغة والذي يعنى بأحوال المتخاطبين وبه تعرف أحوال اللفظ العربي التي تطابق مقتضى الحال[8]؛ يدرس فليبين أدوار ووظائف المتكلم والمخاطب في نجاح العملية التواصلية وتوجيهها وتحديد مسارها الدلالي والتداولي.[9]

أما بالنسبة لعبد الرحمن الحاج صالح فقد حبَّذ ترجمة مصطلح pragmatics (بظواهر التخاطب) أو (ظواهر الاستعمال) ،وهي ليست بمنأى عما ذهب إليه العلماء العرب القدماء-على حد تعبيره- فضلا عن التفريق بين آليات علم الدلالة والتداولية؛ إذ يدرس علم الدلالة المعنى، ويدرس علم الاستعمال اللغة في الاستعمال[10]، وأكد الدكتور "عبد الرحمان الحاج صالح" أن: كيفية استعمال اللغة شيء، وبنية اللغة في ذاتها شيء آخر، وتفسير هذا بهذا يؤدي إلى مأزق، فكل منهما ميدان خاص وهي من حيث دلالة ألفاظها اعتباطية وليست منطقية ولا عقلية، أما الخطاب فهو عند حال الاستعمال الفعلي للغة، فقد تدل الألفاظ على معنى وليس هو المراد[11].

كما وجه "عبد الرحمن الحاج صالح" أنظارنا إلى قضية مهمة وهي علاقة البلاغة بالتداولية، ولاسيما في التركيز على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتعيين العناصر المشاركة في عملية التخاطب، وهي عند القدماء (المتكلم، المخاطب، السياق)، وهذا ما شكَّل التوافق والتقارب بين البلاغة والتداولية، كما تظهر في معالجة ثنائية الوضع والاستعمال على وقف نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني(ت 471هـ).

وعلى الرغم من العلاقة الوثيقة بين العلمين، إلا أن الدارسين يحاولون التّفريق بين آليات علم الدلالة التي تصب في صميم دراسة المعنى، وآليات التداولية التي تحاول أن تفسر الاستعمالات الفعلية، والفرق الجوهري بين العلمين أيضا هو: أن علم الدلالة يدرس المعنى مستقلا عن السياق الذي يرد التعبير فيه، في حين تهتم التداولية بدراسة معنى العبارات عن طريق العلاقة مع سياق التعبير؛ ذلك أن دراسة المعاني يمكن أن يكون على مستويين مختلفين نسبيا، فبينما يتناول علم الدلالة المستوى الأول؛ وهو مستوى ما قبل التحقق السياقي في مقام التخاطب (علم الدلالة)، ومستوى ما بعد التحقق السياقي (علم التداولية).

وبذلك يتضح أن علم الدلالة يدرس الكلام مستقلا عن السياق، في حين تدرس التداولية المنجز اللغوي في سياقه التواصلي، وليس بمعزل عنه لأن وظيفة اللغة الأساسية هي الإخبار والتبليغ في إطار التخاطب والتواصل؛ أي ربط الاتصال بين المتخاطبين، ومن ثم يشكل المتخاطبين دورة يسميها "عبد الرحمن الحاج صالح" بـ(دورة التخاطب)[12] التي تتكون من العناصر الآتية:

- المرسل: وهو المتكلم أو المخاطِب.
- جهاز الإرسال وهو عند الإنسان؛ الجهاز العصبي الصوتي محدث الأصوات.
- المرسل إليه: أي السامع أو المخاطَب.
- جهاز الالتقاط وهو عند الإنسان؛ الجهاز السمعي (الأذن).
- القناة التي توصل الخطاب؛ وهي في حال المخاطبة بالمشافهة الهواء، وفي حالات أخرى كل مادة موصلة للأصوات.

سعى "عبد الرحمن الحاج صالح" إلى ربط الماضي بالحاضر وإظهار استمرارية الفكر اللغوي لأن اللغة متطورة أبدا، واللّغوي الحق هو الذي يدري ما وراء اللغة ويتتبع مسيرتها ويفقه أساليبها[13] وما قدمه "الحاج صالح" دليل قاطع أن اللغة متطورة، فقد تفرد علماؤها القدماء بآرائهم الدقيقة والعلمية، لدرجة تجعلها تضاهي أفكار المحدثين، فبعد تقديمه مفهوم اللّفظة في كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، يخلص إلى أن هذا المفهوم لم يذكره اللّسانيّون الغربيون ،واقترح ترجمتها (lexie) [14]، وعالج مفهوم (الموضع) وقارنها بما هو موجود في اللسانيات البنيوية والتوليدية والتحويلية، وخلص إلى أن هذا المفهوم (الموضع والمثال) لا يوجد مثلهما في اللسانيات الغربية إطلاقا [15].

ويضيف: أنا لست من المحافظين، أنا لا أحافظ على شيء إلا على الإسلام واللغة العربية ما خلا ذلك فأنا مجدد وهو التجديد الذي لا يظلم القدماء ولا يمس بما هو مفيد عندهم، ويقول أيضا: لا أدافع عن أحد إلا إذا كان عبقريا والعبقري موجود منه في القديم وفي الحديث. ويضرب المثال بالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) وسيبويه (ت180هـ) والرضي الإستراباذي (684هـ أو 686هـ) الذين سبقوا زمانهم بمئات السنين[16].

2. المعنى بين الدلالة والتداولية:

تعد اللغة مجموعة من العلامات تترابط فيما بينها ترابطا علميا، ففي البدء نلحظ أن اللغة تقتضي بالضرورة قوانين تسيرها وتحفظ انتظامها، ولكن استعمال اللغة لا يتوقف على معرفة

واعية لتلك القوانين، ومنطلق الأمر في قضية الحال أن الحدث الكلامي يكتسب تلقائيا عن طريق التحصيل بالأمومة؛ ذلك أن الظاهرة اللّسانية من شروطها الأولية أنها عقد جماعي يلتزم به الفرد ضمنيا بعد أن يحذف استخدام ما تنص عليه بنوده الصوتية والنحوية والمعجمية والدلالية، ثم يضيف الأستاذ" عبد الرحمن الحاج صالح": أن العرف اللساني حدد وظيفيا اللغة بأنها أداة الإنسان إلى إنجاز العملية الإبلاغية في صلب المجتمع.[17]

إذ تنبني دراسة اللغة أساسا على مستويات عدة وهي: المستوى الصوتي، الصرفي، النحوي، الدلالي والتداولي؛ هذين الأخيرين أهم مستويين لأنهما يتعلقان بفهم المعنى وهما يرتبطان بكل المستويات ارتباطا وثيقا، وتمثل دراسة الدلالة قمة التحليل اللغوي وهدفه النهائي، إذ الغاية من دراسة اللغة هي الاتصال والتفاهم.

وقد ارتبط مصطلح الدلالة بقضية الوضع والاستعمال المرتبط باللغة أساسا، يقول عبد الرحمن الحاج صالح: "الوضع وهو ما وضعه واصطلح عليه مجموعة من الناس، والاستعمال وهو تلك الحرية التي يملكها المتكلم في استخدامه للغة وهما ما يقابلان اللغة والكلام عند فرديناند دي سوسير، فما يسمع من المتكلّم لا يدل على المعنى الحقيقي له، بل لابد من معرفة دلالة الحال أو (علم المخاطب).

ثالثا: فهم الخطاب عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

1. المعنى بين السياق وعلم المخاطب.

كنا قد ذكرنا سابقا أن اللغة وضع واستعمال عند "عبد الرحمن الحاج صالح"، وقد وصف التخاطب بأنه مادي يتمثّل في الأصوات والكلمات، لكن قد يتعطل هذا التخاطب من حيث الإفهام لأسباب مختلفة خارجة عن الوضع، تتعلق أساسا بالسياق اللغوي وغير اللغوي أي: القرائن الخارجة عن اللفظ (سياق الحال) context situation لهذا يصرح فيرثFirth بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة، وعليه تتطلب دراسة المعاني على الدوام تحليلا للسياقات وللمواقف التي ترد فيها حتى ما كان غير لغوي[18]، والذي أهمله دارسوا اللغة قديما وتداركوه فيما بعد وسمّوه دلالة الحال، وهي دلالة غير لفظية تتعلق أساسا بالمتكلم والمخاطب والسياق الخارجي وعلم المخاطب؛ وهو علمه بمواضع الكلم في الكلام فهو علم بحدود الكلام ومواقع عناصره، ما يدخل في ملكته اللسانية؛ وهو علمه غير النظري باللغة وكيفية استعمالها ودرجة إجادتها، لماذا؟ لأن المخاطب يعلم أن هذا الموضع إنما يضمر فيه هذا الفعل لكثرة استعمالهم إياه..[19]

وهذا العلم (علم المخاطب) قرينة عظيمة من بين القرائن الأخرى التي لها تأثير كبير على فهم فحوى الخطاب، وقد تناوله علماء البلاغة العرب من بينهم "الجاحظ" الذي ذكر: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما...فلكل مقام مقال » [20]، فالمقام يخص المتكلم وما ينبغي أن يلتزم به من العبارات وليس مجرد حال مشاهدة تساعد المخاطب على فهم الخطاب، وهذا عند البلاغيين المتأخرين هو مقتضى الحال.[21]

2. أنواع القرائن:

الغرض من ذكر أنواع القرائن هنا هو توضيح كيفية سبق العرب لهذا العلم -علم المخاطب قديما- وما ترجموه البعض حديثا وابهروا به وهو (علم التداولية)

تفطن أهل البلاغة قديما إلى أن العلاقة بين النحو والبلاغة وطيدة جدا، فالجملة عند قائلها تحمل دلالة معينة لا يعلمها إلا هوَ، فقد يريد المتكلم مثلا الاستفهام بأسلوب التهكم، أو قد يتعجب وهو ينفي، كل هذه الأغراض يتحكم بها المتكلم الذي تربطه علاقة بالمخاطَب –كما ذكر "عبد الرحمن الحاج صالح"- فللكلام تأثير اجتماعي يتواطأ فيه متكلم ومخاطب لإيصال مفهوم معين يحدث حالة نفسية يتشارك فيها الاثنان معا[22]، وهذا ما درسه علم المعاني وهو من فروع علم البلاغة العربي.

من بين القرائن التي تساعد في فهم الخطاب نجد:

أ. ما يرى المخاطب من الحال:

وهو الحالة التي عليها المتكلم والمخاطب أي ما يشاهده بالعين المجردة أو حال الحديث عند "سيبويه (ت 180ه)"؛ وهي زمان الحديث، وأما ما يحصل وما يكون المخاطبان يشاهدانه، فهو الحال المشاهدة، ودلالة الحال المشاهدة السياق context situationnel أو situation de discours.[23]

ب. ما جرى من الذكر:

وما يسميه "المبرد (ت 286ه)" بتقديم الذكر وهو كل حال متقدم يساعد المخاطب على فهم ما جاء بعده، ويكون هذا أثناء التخاطب الذي قد يتجاوز كلام المتكلم الواحد، ويسمى contexe

ويميزونه بأنه context varbal أي: الحالي هو المقام والمقالي هو المقال أي الكلام، وبعد سيبويه سموها الحالي/ المقالي وهو اصطلاح شامل ظهر عند الأصوليين.[24]

ج. القرينة: أو (علم المخاطب)

سميت قرائن لأن اللفظ يقترن بها وتردفه؛ فالاقتران زماني مكاني ونفسي وهذا ما تلخصه مقولة "الجاحظ (ت 255ه)" لكل مقام مقال"، إذ يعالج علم المخاطب حال المتكلم وحال المخاطب والظروف الزمكانية التي تحيط بهما لتصل الرسالة ويحدث الخطاب.

كما تجدر الإشارة إلى أن هناك قرائن وهي لفظية لكنها غير متكونة من حروف بل يقترن بها اللفظ مثل النبر وزيادة المد والنغمة من فعل المتكلم وله دلالة إلا أنه ليس حروفا ملفوظة.

وهذا التّنغيم والنبر يحدد كل منهما الجملة بدلالة خاصة تختلف باختلاف طبيعة التنغيم أو حدود النبر "؛ فالحدث اللغوي لا يجري في مستوى الأصوات وحدها ولا في مستوى المعاني منعزلة، بل يجري في مستوى اقترانهما وتشكلهما، وهذا التشكل هو جوهر اللغة بوصفها شكلا مجردا لا مادة تفقد الدراسة الصوتية قيمتها.

وقد مثل له "ابن جني (ت 392ه)" وحدد بعض وظائفه بوصفه أحد عناصر تحديد المعنى، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء فتقول: كان والله رجلاً !؛ فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط الكلام وإطالة الصوت بها وعليها؛ أي: رجلا فاضلا وشجاعا وكريما أو نحو ذلك.[25]

والنبر عندهم عنصر من عناصر تحديد المعنى، وهو ارتفاع الصوت، حيث لا يعمد المتكلّم نبر كلمة معينة في مثل هذه الجملة رغبة منه في تأكيدها أو التلميح بدلالة معينة في مثل هذه الجملة: هل سافر أخوك أمسا؟ فإذا نبر المتكلم على لفظ (سافر)، فهذا قد يعني أنه ظنّ أن حدثا غير السفر قد تمَّ، وإذا نبر لفظ(أخوك) فهذا يعني أنه ربما شكَّ في فاعل السفر.[26]

وهي كما قال ابن جني" سِيَر عليه ليل!" يريد: ليل طويل، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك..[27]

فالقرينة الأولى: التطويح؛ وهي شدة النطق أو طول المد، وقد يكون نغمة في الكلام وتنوعها وكل ما يسمى الآن نبرا وله دلالة زائدة على اللفظ (المقطع) الذي هو فيه، وكذلك الإشارة كما قال الجاحظ.[28]

إذا اللغة في طبيعتها الأساسية نظام صوتي اصطلاحي يستند إلى البنى الأربع الصوتمية (الفونولوجية) والمعجمية والتركيبية والدلالية ،ولكنها في تحققها وإنجاز مستعمليها لها تستدعي شبكة من الأنظمة المتعددة كل واحد منها يفعل فعله في تحقيق الرسالة الأدائية، فإذا بالدلالة حصيلة تضافر أنظمة ؛إذا كان النظام الكلامي أهمها فإن سائرها يواكبه مكملا إياه، فمن ذلك النظام الإشاري حيث يتدخل ما ليس بلغوي في الإبلاغ اللغوي، ومن ذلك النظام النبر؛ فوق-المقطعي، ومن ذلك أيضا النظام السياقي والنظام الإيحائي ونظام المقام الذي يندرج فيه التخاطب باللغة.[29]

استعمل النحاة الألفاظ الآتية: كلام ومتكلم ومخاطب، وسيبويه كان يستعمل لفظة حديث ومشتقاتها بدلا من الخطاب لكنه استعمل لفظة مخاطب وهذا دليل على وجود معنى الخطاب في ذهنه، وقد اهتم بكيفية الإفهام التي تحدث بين المتكلم والمخاطب وأيضا هو لا يهتم بالمنطوق أي الكلام وتركيبه بل بما يحيط بعملية التخاطب، الأدلة التي تقترن بها عملية التلفظ بالكلام، كما لا يمكننا تجاوز كتاب سيبويه الذي يحتوي على الكثير من القضايا التي لها تعلق مباشر بما بشرت به التداولية الحديثة، وأكبر دليل على هذا الكلام هو تقسيم سيبويه للكلام إلى مستقيم حسن، محال، مستقيم كذب، مستقيم قبيح ومحال كذب ، وحكمه على أحد هذه الأنماط بصفة المستقيم الكذب هو ما يسمّى باللّحن التداولي الذي تنخرم فيه شروط المطابقة بين النسبة الكلامية، النسبة الواقعية والخارجية والنسبة العقلية كما يعبر عنها البلاغيون وكذا التداوليون.[30]

النتائج المتوصّل إليها:

- نستنتج في الأخير أن عبد الرحمن الحاج صالح من عباقرة اللسانيين في العصر الحديث، فقد كان له فضل السبق في اكتشاف كنز التراث العلمي اللغوي العربي خصوصا ما دُرس في زماننا تحت غطاء النظريات الغربية الحديثة.
- استطاع "عبد الرحمن الحاج صالح" أن يكشف من خلال ما تناوله في كتبه اللسانية وخصوصا كتاب "الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية" بعد اطلاعه على التراث اللغوي العربي والنظريات الغربية ؛ونذكر منها على وجه الخصوص علم التداولية "pragmatics" كشف حقيقة جوهرية وهي: أن تراثنا اللغوي العربي متنوع العلوم والنظريات التي تواكب تطور اللغة العربية وأن التداولية عند الغرب هي نفسها علم المخاطب الذي أشار إليه البلاغيون العرب القدامى؛ إذ درسوه في علم المعاني الذي يعنى بالخطاب والتخاطب ومقتضى الحال، كما يشيد الدكتور "عبد الرحمن الحاج

صالح" بـ: عبقرية علمائنا الذين سبقوا زمانهم بمئات السنين نذكر على وجه الخصوص سيبويه والرضي الاستربادي والزمخشري وغيرهم.

- إن نظرة عبد الرحمن الحاج صالح إلى ظواهر التخاطب خاصة واللغوية عامة متميزة حيث تجعل كل ما يجري في الكلام من أفعال ودلائل لفظية (وضع اللغة) وقرائن شتى مندمجة، فالوضع اللغوي لا يتم باندماجه في شبكة من هذه الدلائل الداخلة فيه والخارجة عنه؛ وهذا معنى الاقتران فقد أدركه العلماء العرب منهم سيبويه، ابن جني، الجاحظ، الرضي الاستربادي وغيرهم ممن درسوا الخطاب وكانوا عباقرة سابقين لزمانهم.
- كما نستنتج أيضا أن دلالات دلالة الحال وتقدم الذكر وعلم المخاطب تشكل شبكة من القنوات والدلالات وتقترن مع الكلام الملفوظ لتبليغ الغرض أو المعنى المراد إيصاله، إذ إن الملفوظ أو المسموع ليس وحيدا بل يقترن بقرائن وهي السياق وتقدم الذكر وعلم المخاطب تتواطأ كلها لتعطينا دلالة الخطاب.

قائمة المصادر المراجع:

1. ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلة، دار التنوير للطباعة والنّشر، لبنان، 1984.
2. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر،2012.
3. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت،1999.
4. عبد الرحمن الحاج صالح، السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، 2012.
5. ديان مكدونيل، المقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة وتقديم: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، 2001.
6. إدريس مقبول، البعد التداولي عند سيبويه، عالم الفكر، المجلد 33، العدد الأول، يوليو-سبتمبر2004.
7. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2006.
8. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2012.
9. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 2005.
10. عبد الرحمن الحاج صالح، الذخيرة اللغوية العربية (محاضرة على يوتيوب)، جامعة االمدية، 07 ماي 2009، تاريخ الاطلاع، 06 /11/ 2020، 23:47. الرابط: https://youtu.be/mOaS2n4MOn4

11. عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر.
12. الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، ط7، ج1، القاهرة، 1998.
13. عبد الرحمن الحاج صالح، محاضرة ألقاها بجامعة المدية يوم 2017/02/06، تاريخ الاطلاع: 43: 10 /07/11/2020 .http://youtub.com/user/MORSLIDJAMEL

الهوامش:

[1] ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلة، دار التنوير للطباعة والنّشر، لبنان،1984، ص9.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، موفم للنشر،2012، ص17.

[3] المرجع نفسه، ص180.

[4] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت،1999، ص24.

[5] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، 2012، ص7.

[6] ديان مكدونيل، المقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة وتقديم: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية،2001، ص68.

[7] إدريس مقبول، البعد التداولي عند سيبويه، عالم الفكر، المجلد 33، العدد الأول، يوليو- سبتمبر2004، ص 246.

[8] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 2006، ص 22.

[9] ينظر: مقبول إدريس، المرجع السابق، ص 261.

[10] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 8 وما بعدها.

[11] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر،2012، ص294.

[12] المرجع نفسه، ص 351.

[13] مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 2، 2005، ص 22.

[14] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع السابق، ص 219.

[15] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[16] .عبد الرحمن الحاج صالح، الذخيرة اللغوية العربية (محاضرة على يوتيوب)، جامعة المدية، 07 ماي 2009، تاريخ الاطلاع، 06 /11/ 2020، 23:47. الرابط: https://youtu.be/mOaS2n4MOn4

[17] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ص ص 30، 31.

[18] مقبول إدريس: البعد التداولي عند سيبويه، المرجع السابق، ص 255.

[19] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص 57.

[20] الجاحظ: البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، ط7، ج1، القاهرة، 1998، ص 138.

[21] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المرجع السابق، ص 57.

[22] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، محاضرة ألقاها بجامعة المدية يوم 20017/02/06، تاريخ الاطلاع: . 43: 10/ 07/11/2020 .http://youtub.com/user/MORSLIDJAMEL

[23] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص ص 56، 57.

[24] المرجع نفسه، ص 57.

[25] المرجع نفسه، ص 73.

[26] المرجع نفسه، ص 74.

[27] المرجع نفسه، ص 57.

[28] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[29] المرجع نفسه، ص 34.

[30] مقبول إدريس: البعد التداولي عند سيبويه، المرجع السابق، ص 246.